موقع الأديب
* علي أحمد باكثير *
www.bakatheer.com

توظيف الحضارة المصرية القديمة
فى مسرح "على أحمد باكثير"

د. صوفيا عباس - مصر

فى حياة الأمم الكثير من الصفحات المشرقة، تسطرها حضارات عريقة، ولكل حضارة رونق خاص بلمسات أنامل أبنائها الممزوجة بعبق الأصالة والتطور والتنوير ومن هذه الحضارات التى تتسم بتلك السمات العريقة هى الحضارة المصرية القديمة، تلك الحضارة المالكة للأسرار والألغاز.

والحقائق المطموسة حبيسة اللوح المحفوظ، أو جلية رحاب الأقدار، أخذنا منها معانى الحب والصفاء وملكة الإبداع الجميل واكتسبنا منها أيضاً معانى القوة والعزة والكرامة، والمجد السياسى المتمثل فى ملوك عظام وحكام كبار، فتاريخ مصر هو تاريخ الحضارة الإنسانية، حيث أبدع الإنسان المصرى وقدم حضارة عريقة سبقت حضارات شعوب العالم، حضارة رائدة فى ابتكاراتها وعمائرها وفنونها، حيث أذهلت العالم بفكرها وعلمها، فهى حضارة متصلة الحلقات تفاعل معها الإنسان المصرى وتركت فى عقله ووجدانه بصماتها.

فقد كانت مصر أول دولة فى العالم القديم عرفت مبادئ الكتابة وابتدعت الحروف والعلامات الهيروغليفية، وكان المصريون القدماء حريصين على تدوين وتسجيل تاريخهم والأحداث التى صنعوها وعاشوها، وبهذه الخطوة الحضارية العظيمة انتقلت مصر من عصور ما قبل التاريخ، وأصبحت أول دولة فى العالم لها تاريخ مكتوب ونظم ثابتة، وقد تميزت تلك الحضارة بالأسبقية فى كافة الأشياء ما بين أول حكومة فى التاريخ وأول ديانة وحدانية وأول ملحمة كفاح على مستوى العالم القديم والحديث، وأول معاهدة سلام فى التاريخ، ولهذا اعتبرت الحضارة المصرية القديمة أماً للحضارات الإنسانية.

وكل هذه السمات العريقة لابد لها من وجود قلم مبدع يسجل لنا أعظم الحقائق وأروع الوقائع التى تشعرنا بمدى فخرنا بمصريتنا العريقة من خلال واحة الأدب الوارفة. وقد تطرق للتراث الفرعونى الكثير من أدبائنا العرب الكبار ليجسدوا لنا ثراء هذه الحضارة كجزء أصيل من الشخصية المصرية ومنهم الأديب العربى "على أحمد باكثير"، الذى ولد فى ديسمبر عام ١٩١٠م فى جزيرة سورويانا بأندونيسيا لأبوين يمنيين من منطقة حضرموت، وحين بلغ العاشرة من عمره سافر مع أبيه إلى حضرموت لينشأ هناك نشأة عربية إسلامية، وهناك تلقى تعليمه فى مدرسة النهضة العلمية، ودرس علوم العربية والشريعة على يد شيوخ أجلاء، وقد تزوج باكثير مبكراً، ولكنه فجع بوفاة زوجته، وهى فى نضارة الشباب وريعان الصبا، فغادر حضرموت عام ١٩٣١م وتوجه إلى عدن، ثم استقر زمناً فى الحجاز، وهناك كتب أول عمل مسرحى شعرى له وهو "همام" أو "فى بلاد الأحقاف" وطبعها فى مصر أول قدومه إليها، حيث وصل باكثير إلى مصر عام ١٩٣٤م، والتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)، حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٩م، وقد ترجم عام ١٩٣٦م أثناء دراسته فى الجامعة مسرحية "روميو وجولييت" للكاتب الإنجليزى "ويليام شكسبير" بالشعر المرسل وبعدها بعامين أى عام ١٩٣٨م ألف مسرحية "إخناتون ونفرتيتى" بالشعر الحر ليكون بذلك رائد هذا النوع من النظم فى الأدب العربى، كذلك سافر باكثير إلى فرنسا عام ١٩٥٤ فى بعثة حرة وبعد انتهاء دراسته فضل الإقامة فى مصر، حيث أحب المجتمع المصرى وتفاعل معه فتزوج من عائلة مصرية محافظة، وأصبحت صلته برجال الفكر والأدب وثيقة. وحصل باكثير على الجنسية المصرية بموجب مرسوم ملكى فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٥٢.

وبذلك حقق باكثير حلمه الذى عرفناه من خلال أشعاره التى كتبها فى حضرموت وهو التوجه إلى مصر للالتقاء بأدبائها وشعرائها، والاستزادة من علمها ولكن لا بأس من المرور بـ "جاوا" لزيارة والدته قبل أن يواصل رحلته

إلى مصر، وهذا ما صوره فى إحدى قصائده التى يقول فيها:

سأرحل من بلاد ضقت فيها
يلازمنى بها أبداً شعوب
فاجتاز البحار لأرض جاوا
إلى حيث المقام بها يطيب
وأعبر مصر حيث العلم حيث
الحضارة حيث يحترم الأديب
وحيث الشعر خفاق لواه
وحيث الضاد مرعاها خصيب
وحيث النيل يجرى فى
يسر القلب منظره المهيب[١]

وقد بلغت أبيات أول قصيدة نشرت له بعد وصوله مصر أكثر من سبعين بيتاً قال فى مطلعها:

يا مصر شاق البلبل التغريد
وأفاك من أقصى الجزيرة شاعر
كم صب أدمعه عليك صبابة
وشوامخ الأحقاف تدرى ما به[٢]

ثم يتحدث فى أبيات أخرى عن هيامه بمصر، وسعادته بالعيش وسط أهلها المقربين إليه والذى تربطه بهم صلة دم، وأصل واحد، فيقول:

فى مصر بين الأقربين سعيد
دمى آباء بيننا وجدود
قبس لمكروب الشكوك مبيد
إذ عز من عن حوزتيه يذود
ويرن فى جنباته التوحيد"[٣]

وقد اقتحم على أحمد باكثير ميادين الحياة الأدبية فى مصر بجرأة وثقة

وجسارة، وأصبح كما يقول "محمود تيمور" "إنه ذلك الشاب المثقف الذى وفد من حضرموت إلى مصر ليغتصب جوائز المسابقات الأدبية اغتصاباً"(٤).

"فعلى أحمد باكثير" رائد مدرسة متميزة فى ميدان الفكر المسرحى الهادف والقصة التاريخية المستشرقة، والشعر الأصيل، سجل سبقه الفنى البليغ فى هذه الميادين جميعاً، وقدم لنا نموذجاً فريداً للأديب المسلم الملتزم بالإسلام فكراً وإبداعاً من خلال عطاء ضخم رفيع الجودة، نافذ التأثير عبر مضامينه وموضوعاته العميقة الشاملة النابعة من ثقافة مكتملة وبصيرة حضارية واعية.

وحين قدم باكثير إلى مصر كان لازال هناك بقايا من روح الدعوة الإقليمية التى روج لها الاستعمار ليقطع بها أوصال الأمة العربية ويفرقها شيعاً، وكان بعض الكتاب المتحمسين للقومية العربية ينعون على مصر اعتزازها بتاريخها الفرعونى القديم، ويودون لو تكفر بتلك الأمجاد الفرعونية وتكتفى بأمجادها العربية، وقد عاب باكثير على هذا الفكر، ولم يقتنع به، فمن الشطط إن لم يكن من المحال أن تحمل مصر على تناسى أو تجاهل حضاراتها القديمة التى أذهلت العالم، والتى صارت تراثاً إنسانياً مشتركاً يعنى به العلماء من جميع الشعوب ويُدرس فى كل جامعات العالم وأخذ باكثير يتساءل لم لا يعترف العرب بهذه الحضارة؟ ولم لا يعتزون بها وقد نبتت فى قديم هذا الشرق العربى وهم أولى بذلك من غيرهم؟ أليست مصر بلداً عربياً فى طليعة البلاد العربية، أليس تاريخها القديم جزءاً من تاريخها العام ومن ثم يكون جزءاً من تاريخ هذا الشرق العربى ينبغى أن يعتز به كل عربى ورث هذه الحضارات كلها، الحضارة الفرعونية فى مصر والحضارة البابلية فى العراق والحضارة الفينيقية فى الشام والحضارة السبئية فى اليمن؟(٥)

وبهذا الوعى كتب باكثير مسرحياته، هذا بالإضافة إلى الواقع العربى الذى كان قائماً فى أواخر الثلاثينات وفى الأربعينات والخمسينات من هذا القرن، والذى فرض على الأديب اللجوء إلى الرمز والتورية عند نقد السلطة الحاكمة لتحاشى غضبها وتفادى ردود أفعالها الانتقامية، "وفى تلك الأثناء كان باكثير

يعيش سنوات الانبهار بالقديم وبالحضارة الفرعونية فوجد فى نفسه رغبة ملحة فى الارتداد إليها واستنطاق شخوصها حيث وجد فى التاريخ وفى الشخصيات التاريخية الشهيرة ينابيع خالدة للاستيحاء والتعبير الرمزى"(٦). وقد بدأ أولى محاولاته المسرحية الجادة والجديدة منطلقاً من نفس الموقع فكتب مسرحيته الشعرية "إخناتون ونفرتيتى" ثم اتبعها بالمسرحية النثرية "الفرعون الموعود" التى استلهم موضوعها من التراث الأدبى الفرعونى، كما غرم باكثير بالموضوعات الأسطورية بوصفها أغنى من التاريخ وأرحب أفقاً وأكثر انطلاقاً من القيود الزمنية والظروف الواقعية فكتب مسرحية "أوزوريس"، وبذلك اغترف باكثير موضوعات مسرحياته من منهل الحضارة المصرية القديمة على تنوع مصادرها.

ويقدم البحث دراسة نقدية تحليلية للنصوص الثلاثة:

- إخناتون ونفرتيتى.
- الفرعون الموعود.
- أوزوريس.

وذلك للوقوف على الرؤية الفكرية للكاتب ووعيه فى استلهام عبق التاريخ، وعطور الأزمنة الضاربة فى أعماق الحياة المصرية القديمة لتمجيد الحضارة الفرعونية وإحياء الماضى من جهة، وتقديمها بتفسير جديد ورؤية متفردة تعكس صورة حية من صور الحياة المعاصرة بالاختيار والعزل والإضافة من جهة أخرى.

مسرحية "إخناتون ونفرتيتى" (١٩٣٨)
(من تاريخ مصر الفرعونية)

كتب "على أحمد باكثير" فى بداية عهده بالمسرح ثلاث مسرحيات شعرية كان آخرها "إخناتون ونفرتيتى"، "وقد نالت هذه المسرحية جائزة المباراة الأدبية للفرقة القومية سنة ١٩٤٠"(٧)، وارتبطت هذه المسرحية بقضية التجديد فى الأسلوب الشعرى حيث وصفها "باكثير" فى مقدمته على أنها "نقطة انقلاب فى تاريخ الشعر العربى الحديث كله، فقد قدر لها أن تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم تسميته بالشعر الحر"(٨).

كما اعتبرها الكثير من النقاد ثورة حقيقية على المسرح الشعرى التقليدى حيث تحول فيها المسرح الشعرى على يد باكثير من مسرح الشعر إلى شعر المسرح فكانت حلاً للانفصام بين الحدث الدرامى واللغة الشعرية"(٩).

وما يهمنا من أمرها فى هذا البحث هو موضوعها الذى يسجل مجداً من أمجاد مصر فى تاريخها القديم، ويصور شخصية عظيمة عاشت تحت سماء وادى النيل قبل زهاء أربعة وثلاثين قرناً وقامت بجهاد روحى نبيل ورسالة فكرية سامية يشهدان بأن مصر لم تزل منذ الأزمنة الموغلة فى القدم مهد الرسالات الإنسانية العظمى ومطلع شموس الفكر والحضارة.

وقد حاول باكثير فى كتابه "فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية" أن يبرر لنفسه أمام القارئ استخدام موضوع فرعونى وإرجاع ذلك إلى حرصه على القومية العربية التى تتعدد جذورها وتتنوع حضاراتها بتعدد الأقطار العربية(١٠).

وقد أشار إلى هذا المعنى فى مقدمة المسرحية متمثلاً ببيت من قصيدة نظمها على لسان أبى الطيب المتنبى يقول فيها مخاطباً المصريين:

"أبوكم أبى يوم التفاخر يعرب وجدكمو فرعون أضحى بكم جدى"(١١)

ومن الملاحظ أن باكثير منذ بداياته الأدبية لا يستطيع مقاومة إغراء المناخ، ولا يستبعد أنه كتب "إخناتون ونفرتيتى" فى الفترة التى وقع فيها تحت

تأثير جودة السحار ونجيب محفوظ وعادل كامل وكان ثلاثتهم والأخيران على وجه الخصوص مبهورين بتاريخ مصر القديم على أثر الكشوفات الفرعونية التى أغنت ثقافة العالم(١٢).

فكتب مسرحيته هذه من واقع ذلك التأثير أو بالأصح من واقع ذلك المحيط المفعم بعبق التاريخ وعطور الأزمنة الضاربة فى أعماق الحياة القديمة.

وقد أراد باكثير بطريقة غير مباشرة أن يوحى للقارئ بأن إخناتون لم يكن رجلاً عادياً أو فرعوناً صالحاً، وإنما كان نبياً من الأنبياء وذلك عندما وضع الآية الكريمة التالية فى مقدمة المسرحية.

"ورُسُلاً قَدْ قَصَصنْاهُم عَلَيك مِنْ قَبل ورُسُلاً لم نَقصُصهُم عَلَيك"

نحن إذن مع هذه المسرحية فى حضرة أحد الأنبياء أو الرسل وما كان إخناتون فى نضاله إلا واحداً من البشر الملهمين الذين نظروا إلى السماء فبهرتهم أشعة أخرى خلف الشمس، وأرهقهم التفكير فى الكون والموت والحياة. إن الإيمان بالله وقضية التوحيد هى المحور الأساسى لهذه المسرحية.

ويصور باكثير "إخناتون" فى هذه المسرحية كشاب غر بذرت فيه أمه (الملكة تى) منذ نعومة أظافره بغض الإله آمون وحب آتون الحق (قرص الشمس)، تمهيداً للقضاء على كهنة آمون الذى أصبح نفوذهم يهدد عرش زوجها الفرعون (أمنحتب الثالث) المنغمس فى مستنقع اللهو واللذة والشراب، تاركاً لزوجته تصريف الأمور وإدارة شئون البلاد.

"**جابى:** إن تى أصبحت فرعون، فما فى مصر سواها تدنى من تشاء إليه وتبعد عن عطفه من تشاء، يا لضيعة مصر! غدا أمرها فى أيدى النساء، سقيا لزمان الفراعنة السابقين"(١٣).

وتؤكد الملكة تى قول الكاهن جابى عن نفسها للمربية تاى فتقول:

"**تـــى:** كانت لى مطامع فى السلطان تزيد على مر الأيام وكان حبيبى أمنوفيس* حليماً وديعاً، وكان نفوذ رجال آمون يضايقنى فأردت القضاء عليهم بدين آتون"(١٤).

وكما كان إخناتون قوياً فى إيمانه بآتون كان قوياً فى كفره به حين مات زوجته "تادو" التى كان مولعاً بحبها لدرجة أنه كان يحمد الرب آتون كلما لاحت له أو ابتسمت ثناياها أو طالعته عيناها.

"**الأمير**: ما أقسى قلب الرب آتون!

تـــى: بنى تعقل وزن من كلامك لا تنطق فى جنب إلهك كفراً

الأمير: أماه! أأملك إلا هذا لمن أشقانى هذا الشقاء وطوى كل آمالى فى الحياة بغير رثاء؟ أنه استلها عنوة من بين ذراعى أعظم ما كنت حبا لها وحناناً عليها"[١٥].

وأمام ثورة إخناتون لم تجد الأم سوى التحايل على هذا الصبى الغض بالاشتراك مع كاهن رع، وإيهامه بأنه فى الإمكان إعادة الروح فى جسد حبيبته المتوفاة "لما رأت من حزنه عليها ما أنذرها الخطر على حياته فقد استفادت من معرفتها نفسية ابنها الخيالية التى تنزع إلى الاعتقاد بإمكان إعادتها إلى الحياة فاستغلتها بتدبير هذه الحيلة الطريفة وكانت تقصد بذلك أن ترمى طيرين بحجر: أرادت أن تعافى ابنها من مرض الحزن الشديد وأن تقوى مركز كاهن رع بهذه المعجزة إضعافاً لمركز كهنة آمون"[١٦]. واستعانت الأم بنفرتيتى (ابنة زوج مربيتها تاى)، والتى كانت تشبه تادو إلى حد كبير لتنفيذ تلك الحيلة التى تمت بنجاح وانتهت بزواج إخناتون ونفرتيتى.

وتمر الأيام، ويزداد إخناتون شغفاً بحب نفرتيتى إلى أن دبت الغيرة فى نفس أمه فقد شعرت بخلو يدها من ابنها الذى كانت تعده ملكاً لها، ويصور لنا باكثير هذه الملكة فى صورة الحماة الغيور فى كل عصر ومكان تصويراً صادقاً مطابقاً لما نراه اليوم فى حياتنا المعاصرة، وقد بلغ من غيرتها أن وزانت بين جمالها هى وجمال نفرتيتى وهى واقفة أمام المرآة.

"**تـــى**: أين ملكك أنت نفرتيتى من ملكى

أنا أجمل منك وأقوى منك نفوذاً

حتى ولدى لم يحبك إلا بأعجوبة

عجباً ! مالى أتحرق وجدا عليها؟

ما بالى أوازنها هكذا بى كأنى

ضرتها وكأن ابنى ــ يا للعار ــ زوجى! "[١٧]

وإذا كان باكثير قد أشاف حيلة إعادة روح تادو فى جسد نفرتيتى كحبكة درامية لها دورها فى إثارة الأحداث وثرائها ــ رغم أن التاريخ لم يشر إليها من قريب أو من بعيد ــ إلا أنه يعود إلى نسق التاريخ فيحدثنا عن المؤامرات ومحاولات الاغتيال التى تعرض لها إخناتون من قبل كهنة آمون مما دعا نفرتيتى إلى إقناعه بالرحيل عن طيبة.

"**نفرتيتى**: سأحرضه أن يبرح هذا القصر الثقيل

بل يبرح طيبة أجمع هذى التى

ما انفك جماعة كهانها يحقدون عليه

ويأتمرون به لاغتياله"[١٨].

وهذا ما يؤكده التاريخ حيث "بدأ كهنة آمون ثورتهم، كما بدأوا المؤامرات ضد إخناتون للقضاء عليه ولكن الملك كان مؤيداً لمعتقد آتون"[١٩]، فقرر فجأة أن يترك طيبة ويبنى عاصمة جديدة أسماها أخيتاتون أى (مشرق آتون)، حيث لا تصبح فيها عقيدة آتون عرضة للاضطرابات، وشيد فيها معبدين لمعبوده آتون وفى الوقت نفسه غير اسمه من أمنحتب إلى إخناتون أى (المفيد لآتون أو الملائم لآتون أو الصورة المتسعة لآتون، وذلك لكى يقطع كل الصلات التى تربطه بآمون معبود طيبة، ولم يقف عند هذا الحد بل عمل على محو اسم آمون من كل النصوص والآثار وخاصة الخانات الملكية التى تحمل أسماء الملوك السابقين وتتضمن أسماءهم اسم آمون"[٢٠].

"**إخناتون**: كيف يا أماه وجدت مدينتنا؟ هل راقك منظرها؟ أو ليست أجمل من طيبة"

تـــى: ما أجملها يا بنى وأعظمها من مدينة !

كل ما فيها سحر وجمال ونور !

إخناتون: لما تبصرتى إلا جانباً منها
سترين محاسنها بعد يا أماه
فتدرين أن أخيتاتون الجديدة درة مصر
وأجمل عاصمة فى المشرق والمغرب
سترين حدائقها الغناء تحيط بأقطارها...
سترين بها دار الفن يا أماه تحط
رسوم الطبيعة والإنسان بلا كذب أو رياء
وينطق فيها الصخر الأصم دمى وتماثيل
سترين المعابد حالية بالعمد الرفيعة
والجدران البديعة والرحب الواسعة
وترين بها عباد آتون يصلون فى صدق وسكون
ويدعون مولاهم فيما يخشون وما يرجون"(٢١).

ويصور باكثير شجاعة إخناتون وجرأته فى مواجهة كهنة آمون أصحاب النفوذ والسلطة وامتناعه عن استعمال قوة السلاح لإخضاعهم، كما أظهر مدى حلمه فى موقفه مع عميد أمون حين أخذ الأخير يسبه فى وجهه ويتحداه فلم يحرك من غضبه ساكناً وإنما كان يعزب عنه حلمه حين تمس عقيدته فيحمى لها ويثوره"(٢٢). كما يصور إيمانه العميق بمعبوده آتون فنراه دءوباً لا يعرف الراحة ليلاً ولا نهاراً فكان يتهجد من الليل وأحياناً يقطع الليل كله سهداً وتفكيراً، إذ تدخل عليه المربية تاى لتوقظه للتهجد فتجده لم ينم بعد.

"المربية: نم قليلاً، إذ فكفى ما تهجدت فى أول الليل

إخناتون: أأنام الآن إذ استيقظت أرواح السماء وساد السكون وشف عن النور الأبدى الحجاب. حسبنا أننا سننام طويلاً غداً حيث يحجبنا عن نور الشمس ونور النجوم التراب"(٢٣).

ويشذ باكثير هنيهة عن واقع الأحداث التاريخية، فيختلف حدثاً درامياً بغية الإثارة والتشويق، فبينما يشتد النزاع بين إخناتون وكهنة آمون ويتوعده عميدهم

بلعنة الأرباب يسل حور محب (قائد جيشه) سيفه لطعنه فيثب إخناتون من فوق عرشه ويقف دون عميد آمون ليتلقى ضربة سيف حور محب الذى يخر على وجهه مقبلاً قدمى إخناتون طالباً العفو والمغفرة عن هذا الخطأ غير المقصود، الذى يوهن من قوة إخناتون ويلقى به طريح الفراش.

وما تلبث أحداث المسرحية أن تعود منسجمة مع المنطق الإنسانى العام وغير متناقضة مع مسلمات التاريخ التى ليست موضع شك، فيصور لنا باكثير انشغال إخناتون بثورته الدينية على حساب تدهور الوضع السياسى الخارجى فنرى حور محب وقد أحس بما يهدد مصير مولاه ومصير الإمبراطورية من عوامل الضعف والانحلال، بعد أن ضاعت ممال الشام وخرج أمراؤها عن طاعة مصر، هذا بالإضافة إلى جيوش الحيثيين ذلك العدو الخارجى المتربص بمصر والمتحفز لاستعمارها، ولكن إخناتون صاحب الثورة الدينية الجديدة لم يلق بالاً لهذه الأمور.

"**إخناتون:** الرب سيحمى وينصر أبناءه الصالحين
يغفر الرب للحيثيين أن كانوا جاهلين
سوف تأتيهم رُسلى فيكفون عن بغيهم
عندما يؤمنون بهذا الدين كما كفت عن
بغيها حينما شع فيها النور المبين"(٢٤)

ويحاول حور محب بفصاحته وقوة بيانه إقناع إخناتون بضرورة استخدام القوة لحفظ الأمن وبسط سلطان مصر من جديد على كافة الأقطار مؤكداً له على أن السبيل الذى يسلكه مفض لا محالة لفقد الممالك وسقوط الدين معاً، ويطلب منه السماح له بالذهاب إلى سوريا لتأديب الطغاة ونجدة الولاة وإصلاح الأمور ومنع الحيثيين عنها بضرب سداً منيعاً دون إغاراتهم، بعدها يرسل إخناتون رسله ليبثوا فيها تعاليم دينه الجديد فيدخلون فيه أفواجاً.

"**إخناتون:** ليس فى دين الرب إكراه يا حور محب
حور محب: بالحجة والبرهان؟

إخناتون: أجل بالحجة والبرهان

حور محب: حتى هذا يا مولاى لن يتحقق إلا
بحفظ الأمن ولن يتسنى حفظ الأمن
بغير الضرب على أيدى العابثين

إخناتون: كيف أدعو لدين الحب ودين السلام
وأعمل سيفى فيهم

حور محب: هل نهاك الرب عن الحرب يا مولاى

إخناتون: بل دعانى إلى السلم والحب

حور محب: لكن هل تلقيت أمراً صريحاً منه بترك القتال؟

إخناتون: كلا.. لكن تقتضى دعوة السلم والحب ترك القتال.

حور محب: يبدو لى أن إلهك لم يقصد هذا يا مولاى

إخناتون: أنا أعرف منك بقصد إلهى يا هذا؟[٢٥]

لقد حاول حور محب أن يقف دون الكارثة ولكن جهوده ذهبت سدى، فرغم قوة حجته وقدرته على البيان والاستطلاع لم يستطع إقناع إخناتون بالعدول عن رأيه الذى أودى به إلى نهايته المأساوية، وجاء ذلك مطابقاً للأحداث التاريخية حيث "اعتقد إخناتون بحسن نية أنه يستطيع أن يحافظ على سلطانه فى كل سوريا العليا وذلك عن طريق ربط تلك الشعوب بعقيدة آتون وكان يفكر فى وحدة الشعوب المختلفة عن طريق الاتجاه نحو عقيدة واحدة ولكن مثل هذا الأمر لم يحدث"[٢٦].

كما يسطر لنا التاريخ "محاولة الملكة "تى" (أم إخناتون) فى زيارتها لمدينة أخيتاتون لإرجاعه عن هذا الدين الجديد"[٢٧]، حيث لم يكن إيمان الملكة تى بآتون وحماستها للدين الجديد من نوع إيمان إخناتون الذى كان يشعر بأن عليه رسالة يجب أن يؤديها بل كانت تتخذه وسيلة لبلوغ مأربها من النفوذ والسلطة بالقضاء على نفوذ كهنة آمون ولذلك فقدت حماستها الدينية أخيراً وصعب عليها أن تهاجر من طيبة إلى عاصمة الدين الجديد ومالت إلى مصالحة الأمونيين لما

رأت ما لهم من قوة ونفوذ ما أيأسها من القضاء عليهم لاسيما وابنها لم يشأ أن يستعمل القوة معهم حرياً على مبادئه فى الحب والسلام، وهو ما عكسه باكثير فى مسرحيته.

"تـــى: كان نفوذ رجال آمون يضايقنى فأردت القضاء عليهم بدين آتون لكنى وجدتهم أقوى مما كنت أحسبهم فرأيت الخليق بنا أن نسالمهم فهو خير وأبقى"[٢٨].

"وقد ألقت أوضاع مصر الداخلية فى عهد إخناتون بظلالها على الأحوال الخارجية إذ غدا النفوذ المصرى فى تراجع بالإقليم السورى بينما كان الحيثيون مستمرين فى التوسع فيه على حساب مصر"[٢٩].

وبفضل مجموعة الخطابات التى تم العثور عليها وتحمل اليوم الاسم الشهير "خطابات تل العمارنة" أمكن التعرف على حقيقة الوضع والاضطرابات التى سادت النفوذ المصرى فى غرب آسيا فى عهد إخناتون، حيث كان إخناتون مشغولاً بمسئولياته الدينية منادياً شعبه بالعمل على نشر الحب والسلام وغير متبصر بما يقوم به مواليه وقواده من صراع للمحافظة على بعض مناطق النفوذ فى سوريا فالملك لا يريد أن يحارب، وقُتل معاونوه المخلصون بالتدريج، أو أرسلوا إلى المنفى ولم تؤد الجزية إلى خزانة الملك ويبدو أنه غرر به ممن حوله، لذا فقد حاول الملك فى نهاية حياته أن يتقرب من كهنة طيبة، لكن نفرتيتى رفضت أن تخون الفكر الآتونى وبقيت فى تل العمارنة[٣٠].

"نفرتيتى: إنما همى من أجل حبيبى إخناتون.....
تأتيه رسائل عماله فى ممالكه بالشام
يريدون نجدته ضد الثائرين العصاة
وضد الحيثيين العتاة الذين علا
شأنهم وغدوا خطراً يتهدد أملاكه
فيرد إليهم رسائل ينصحهم فيها
بلزوم السلم وينذرهم أخطار الحرب وسخط الرب

وتجيئ رسائل أخرى فيهملها من دون جواب"[٣١].

لم يخالف باكثير ما جاء به التاريخ من أمر انشغال إخناتون بثورته الدينية، ولكنه أغفل محاولة تقرب إخناتون فى نهاية حياته من كهنة آمون، واستبدلها بعدوله عن رأيه واعترافه بانهيار بناء المحبة والعدل والسلام عندما لا يحميه القوة، فقد أفاق إخناتون من غفلته عن منطق الأشياء ولكن بعد فوات الأوان.

"**إخناتون:** الآن فهمت لماذا كان أخى

حامل الشمس يحمل سيفاً فى يسراه

إن رحمتك العظمى رحمة الجراح الذى

يبتر العضو كى ينقذ الجسم من قرحة ساعية

حكمة غابت عنى فانهار لها صرح أعمالى"[٣٢]

وتنتهى المسرحية بمناجاة إخناتون لربه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وقد استخدمت باكثير فى تلك المناجاة "كلمات من نشيد آتون وجدت مكتوبة على ورق من الذهب لف حول قدميه"[٣٣] وفيها يمجد ربه قائلاً:

"**إخناتون:** بجمالك تحيا العيون

وبنورك تشفى القلوب

أيما قلب تعمر فهناك الحياة الحق

لا حيلة للفقر فى قلب أنت فيه

رب اسمعنى صوتك العذب حتى فى أرواح الشمال

وأعد يارب لأعضائى بهواك سبيبتها والجمال

مد لى كفيك القابضتين على الأرواح اقبلهما فإذا أنا

مبعوث حى

نادنى باسمى فى تيه الأبد

يعلُ من جوفه صوتى لبيك (يموت)"[٣٤]

إن العمل الفنى التاريخى لا يستمد مشروعية وجوده من مشابهته للتاريخ

أو الالتزام بالأمانة التاريخية، بل يستمد قيمته من ذاته من جمالياته الخاصة وقضاياه المثارة، فقد أجاد باكثير رسم الصراع بين كهنة آمون وبين إخناتون فأبرز الأخير كشخصية صلبة متمسكة بآرائها لا تعرف المساومة ولا تلين، ولا تأخذ بأنصاف الحلول فى معركة حياة أو موت، فخلق صراعاً كله بطولة وشجاعة يتفق وشخصية هذا الفرعون الخالد.

كما حاول باكثير تفسير سيرة إخناتون تفسيراً إسلامياً حيث وجد فى دعوته للتوحيد اتفاقاً مع الإسلام غير أن منهجه الذى يقوم على دعوة الحب والسلام فقد اتبع فى نشره أسلوباً سلبياً لا يتفق مع مثل ومنطلقات الإسلام، حيث كان إخناتون يرفض استخدام القوة حتى لو كانت لأجل الدفاع عن الحق أو إقرار السلام وقد بنى باكثير عمله المسرحى على تلك المفارقة الدرامية فكان إخناتون شديد القرب من الإسلام فى دعوته للتوحيد، ولكن كان بعيداً عن منهج الإسلام فى فهمه لدعوة الحب والسلام، فدعوة الحق لا تستغنى عن سيف العدل وقوته، وقد أدرك إخناتون هذه الحقيقة فى آخر نهاية المسرحية، ولكن بعد أن وقعت المأساة وانهار ملكه ومعه دعوته، وهذا هو المفهوم الجديد والفكرة الأساسية التى أكد عليها باكثير فى معالجته الدرامية لشخصية إخناتون فى أطوارها المختلفة خلال فضاء لنص كله.

ومن هنا يتضح الفرق بين دور الأديب فى الخروج بتفسير جديد لأحداث التاريخ ووظيفة المؤرخ الذى يكتب التاريخ وأحداثه كما وقعت بالفعل، فالأديب غير مطالب بالخضوع كلياً لحقائق التاريخ ولكنه فى الوقت نفسه مطالب بعدم مناقضتها أو تجاهلها تجاهلاً تاماً، وربما كان يكفيه أن يغير من درجة أهمية الحدث التاريخى أو الشخصية وأن يضيف عن خياله ما يزيد الحقيقة التاريخية وضوحاً وإقناعاً فيجعلها تتمثل أمام الخواطر وكأنها تشاهد وتدرك بالحس عبر الأزمان.

مسرحية أوزوريس (١٩٥٩)

(نص مستلهم من الأسطورة الفرعونية)

إن محاولة الاستفادة من التراث الشعبى والأسطورى كمادة لموضوعات المسرحيات ظاهرة ليست بجديدة على المسرح إذ أن المسرح نشأ معتمداً على التراث، فالدراما الإغريقية استمدت موضوعاتها من الأساطير والملاحم الدينية والشعبية، وفى مصر القديمة ارتبط المسرح فى نشأته بأسطورة إيزيس وأوزوريس وهى أقدم الأساطير التى عرفتها مصر القديمة.

واستمر المسرح المصرى فى استلهام هذه الأسطورة الخالدة على مر عصوره، حتى نستطيع أن نرصد عدة محاولات للاستلهام المباشر لهذه الأسطورة، الأولى محاولة توفيق الحكيم التى كتبها عام ١٩٥٥ باسم إيزيس، محاولة على أحمد باكثير (أوزوريس) ــ محل هذا البحث ــ والتى كتبها عام ١٩٥٩، ومحاولة عبد العزيز حمودة "الناس فى طيبة" والتى تم نشرها عام ١٩٨١، هذا إلى جانب استلهام غير مباشر لجأ إليه نجيب سرور فى يوم مسرحية "منين أجيب ناس" والتى كتبها عام ١٩٧٤، متمثلاً رحلة إيزيس الثانية خلف أشلاء زوجها المتناثرة فى أرجاء الوادى. ولم يقتصر دور هؤلاء الكتاب على مجرد تأويل ما جاء بالأسطورة، بل حاولوا الخروج عن مضمونها الأصلى أو عن جوهرها المتوارث بغرض تحميلها بقضايا معاصرة.

وقد انطلق على أحمد باكثير فى مسرحيته "أوزوريس" من ثيمة إنسانية متكررة وهى ثيمة العدل الإنسانى ثم أخذ يجسدها درامياً من خلال الأسطورة ليسجل احتجاجاً صارخاً ضد القضاء الظالم المسخر لخدمة الأقوى، مؤكداً على فكرته التى طرحها فى نص "إخناتون ونفرتيتى" بضرورة استخدام القوة لإقامة العدل والسلام واسترداد الحقوق المغتصبة، وهو ما يتماشى مع الفكر السياسى فى مصر فى ذاك الوقت ومقولة الرئيس جمال عبد الناصر (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة).

وتتلخص قصة الأسطورة الأصلية فى أن "أوزوريس" تزوج من أخته

إيزيس، وأنه ظل يحكم مصر بالعدل وكان رفيقاً برعيته متفانياً فى خدمة شعبه، يقضى سحابة يومه فى تجارب يقوم بها لاكتشاف أفضل السبل للزراعة وزيادة المحصول، فهو الذى علم المصريين فنون الزراعة واستغلال مياه النيل، وتحديد الفصول والمواسم الزراعية حسب الدورة الشمسية، فأحبه شعبه حباً أقرب ما يكون إلى العبادة، وكان هذا الحب سبباً فى نقمة أخيه "ست" عليه فأضمر له شراً ودعاه إلى وليمة، وهناك استطاع أن يحتال عليه فيضعه داخل تابوت من الذهب، ادعى أنه سيهديه إليه، ثم ألقى به فى الفرع الثانى من النهر، سار الصندوق مع التيار حتى وصل ببلوس وهناك حمل الصندوق إلى قصر الملك فنمت عليه شجرة ضخمة، علمت إيزيس بوحى من الشائعات المقدسة أن الصندوق توجه إلى ببلوس فأخذت طريقها إليها فى عزم وإصرار لتعيده إلى مصر، وعندما وصلت إلى ببلوس وجدت ابن ملكها مريضاً فقامت بعلاجه حتى شفى فحصلت على الصندوق وعادت به إلى مصر، وما إن وصلت "إيزيس" إلى أحراش الدلتا حتى أخرجت الجثمان من الصندوق واستلقت عليه وحملت منه، غير أن "ست" عثر على جثمان أخيه وقام بتمزيقه قطعاً بعدد أقاليم مصر، وألقى بأعضائه التناسلية فى النيل، جاءت إيزيس مصر بحثاً عن أشلاء زوجها وتمكنت من العثور عليها باستثناء الأعضاء التناسلية التى كانت أسماك النهر قد أكلتها، وردت إليه الحياة الأبدية فصعد إلى السماء، وصار ملكاً للموتى بعد أن كان ملكاً للأحياء، واغتصب ست عرش أخيه، وهربت إيزيس من وجه ست وأخفت ابنها حورس عن الأنظار وكان يساعدها فى تربيته "تحوت" إله الأسرار الذى لقن حورس المعارف والفنون وشارك إيزيس فى تنشئته على حب الخير أسوة بأبيه، ولكنه علمه أيضاً كيف يكون شجاعاً قوياً وحازماً مع الأعداء، ولما اشتد عود حورس خرج من مخبئه ليطالب بعرش أبيه، فلجأ إلى محكمة التاسوع التى يرأسها "رع"، وقضت بأن يحكم حورس الشمال وست الجنوب، لكن ست لا يرضى بهذا الحكم ويستمر الصراع والحرب بين حورس وست ثمانى وثمانين عاماً وتنتهى بانتصار حورس وتوحيد المملكة، وهروب ست إلى مملكة

الصحراء"[٣٥].

وقد انقسم هذا التاسوع شطرين أحدهما فى صف ست والآخر فى صف حورس، وكانت وقفة "أوزوريس" المتشدد فى صف ولده هى التى منعت من اتخاذ قرار لصالح "ست"، حيث لم يحسم هذا الصراع سوى أوزوريس، فقد أرسل لرع وللتاسوع يستنكر أن تستعمل القوة مع ابنه، وهدد بأن يستخدم رسل الأرض التى يعيش فيها وهم لا يخافون أى إله، وقادرون على إحضار قلب أى إنسان يرتكب خطيئة، هنا حكم القضاء لصالح حورس[٣٦].

وهنا تكمن نقطة الخلاف بين نص باكثير والأسطورة الفرعونية الأصلية، ففى الأخيرة لم تتحقق العدالة بالحوار المقنع أو إعطاء صاحب الحق حقه، بل بالتدخل العنيف لأوزوريس وتلويحه باستخدام العنف والقوة على عكس أوزوريس باكثير الذى يلعب دور الرجل السلبى الذى كان فى مقدوره أن يمنع ظلم أخيه "ست" منذ البداية. ولكن طيبته تدفعه إلى ترك أخيه يقوم بأعماله الشريرة، فيصور الكاتب الظلم الذى يقع على شعب مصر من جراء ضياع هيبة القانون وعدم احترامه، وقيام عصابة ست بعمليات نصب واحتيال واغتصاب للفلاحين الذين لا حول لهم ولا قوة، فلا يأمن أحد من شره حتى القضاة فإنه كان يهددهم إن حكموا على أحد من أتباعه بالقتل، وكانت إيزيس تحاول أن تبحث عن دليل جنده واستطاعت بالفعل أن تجمع ثلاثة ممن وقعوا تحت ظلمه الغاشم، أحدهم فلاحة خطف أحد أتباع ست ابنتها وأعادها بعد أن سلبها شرفها والآخر فلاح سرق أحد أتباع ست ماشيته، أما الثالث فقد فقأت عينه بعصا احد هؤلاء المجرمين، وعندما تعرض إيزيس هؤلاء المظلومين الثلاثة على أوزوريس، لم يكن حازماً فى مواجهة أخيه فقد قبل من أخيه أن يعلن براءته من هؤلاء المجرمين ويضع الذنب على كاهل القضاء.

ست: ما شأنى بجرائم هؤلاء؟

إيزيس: هل كانوا يجرؤون على ارتكابها إلا برأيك؟ أو يجرءون على تهديد القضاة إلا باسم؟

ست: إنى أعلن الآن أمام أخى الملك وأمامكم جميعاً براءتى من هؤلاء المجرمين، فلينفذ فيهم حكم العدل.. أما هؤلاء القضاء فهم بين أمرين، إما أنهم جبنوا، وإما إنهم ارتشوا وفى كلتا الحالتين ليسوا جدراء بأن يكونوا قضاة الملك العادل أوزوريس

أوزوريس: لقد صدق ست"[٣٧].

ويتمكن ست بحيلة صغيرة من أن يضع أوزوريس فى تابوت ويحكم غلقه ويلقيه فى النيل، وتستطيع إيزيس بعد جهد شاق أن تصل إليه وتعيده إلى الحياة بصلواتها ورقصتها الجنائزية الخاشعة فوق جثمانه.

إيزيس: لن يهنأ لنا طيب الوصال حتى ننتقم من هذا المغتال الأثيم

أوزوريس: لوددت يا إيزيس لو أمكن العفو عنه

إيزيس: هذا ما كنت أخشاه منك كيف تريد أن تعفو عمن اغتالك ثم اغتب عرشك؟

أوزوريس: لعله لما حكم البلاد قد صلح حكمه وعدل كما وعدنى أن يفعل"[٣٨]

ويستمر باكثير فى تقديم هذه الصورة السلبية فى مواجهة أوزوريس لأخيه ست الذى يظهر فى مقدمة رجال مسلحون ليقبض على أوزوريس ويمزقه قطعاً يلقى بكل جزء منها فى بقعة من بقاع مصر، وفى هذا الموقف يبدو أوزوريس فى صورة المتخاذل الضعيف فيسأل أخاه عما يريد منه، وعندما تحاول زوجته المقاومة تكون إجابته دعيهم يفعلوا ما بدا لهم ويطالبها بالاعتصام بالصبر. وبقتل أوزوريس وتمزيق جسده تنتهى فترة من حياة إيزيس كان فيها كل حبها موجهاً إلى زوجها لتبدأ فترة جديدة ينتقل حبها له إلى ابنها حورس فتأخذ فى رعايته بعيداً عن أعين ست وعيونه حتى تربى ابنها تربية تمكنه من الثأر لأبيه واستعادة عرشه.

درب حورس على القتال تدريباً جيداً وأصبح فى موقف يمكنه من مواجهة ست فأعلن الحرب عليه وانتهى الأمر بهدنة بين الطرفين لجأ بعدها

الطرفان إلى التحكيم لدى المحكمة العليا بعين شمس ولما كان باكثير يقف بجوار منطق القوة كعامل حاسم فى تحقيق العدل فإنه صراعاً حدث فى المحكمة أثبت فيه حورس أنه قادر على غلبة "ست"، فغير ذلك الموقف اتجاه المحكمة فحكمت لحورس بملك مصر. وعندها وجه حورس خطابه إلى القضاة بأنهم إن كانوا يحكمون له فى هذه القضية خوفاً من قوته فإنه لا يرضى عن ذلك وأنه يؤمنهم حتى لا يخشوا طاغية جديداً، فكان رد رئيس القضاة بأنهم كانوا من قبل خائفين، أما بعد أن آمنوا شر ست فإن حكمهم له بملك مصر هو الحكم العادل.

"**حورس:** يا معشر القضاة حذار أن يكون الخوف منى هو الذى أنطقكم بهذا الحكم إنى ما آمنتكم من شر هذا الطاغية لتخافوا من طاغية جديد.

رئيس القضاة: كلا يا ابن أوزوريس لقد كنا من قبل خائفين فحكمنا بالظلم فلما آمنتنا من خوفنا حكمنا بالعدل"(٣٩).

لم يستفد المؤلف فى هذا الموقف من الأسطورة التى جعلت موقف أوزوريس الصلب من الآلهة ودعوته لإنصاف ابنه سبباً فى إنهاء المحاكمة لصالح ابنه حورس، ليستفيد من التناقض بين فكرة تحقيق العدالة باللين والحكمة تلك الفكرة التى يمثلها أوزوريس وبين فكرة تحقيق العدالة بالقوة التى يمثلها حورس ليكتب الانتصار للأخيرة، متفقاً مع مبادئ الإسلام التى نادت بالثورة من أجل تحقيق العدالة، وشجعت الموت فى سبيل الفكرة ومواجهة الظالمين، وجعلت الثائر الشهيد أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، وهى بذلك تربط بين الثورة على الظلم وبين الحياة الآخرة.

لقد نزل باكثير بالأسطورة المستلهمة ورموزها إلى أرض الواقع البشرى الذى يعايشه، فعكس حلم الشعب المصرى وانتظاره للمخلص فرداً أو جماعة من أجل مجتمع بلا مظالم وبلا قهر أو استغلال.

مسرحية "الفرعون الموعود"

نص مستلهم من الأدب الفرعونى

الأدب المصرى القديم، أدب أصيل يجمع بين التأمل والسحر، بين الفكر السامى والآداب العامة، إنه انعكاس لروح أشعب مسرح حسن المعشر، إنسانى، أخلاقى، عميق التدين، عاشق للروح.

وبوجه عام يتكون الأدب المصرى من أنواع عديدة، أهمها: الأدب القصصى، والأدب الغنائى أو العاطفى، يليه الأدب السياسى والحكم والأمثال والتأملات.

ويؤكد علماء المصريات أسبقية مصر على شعوب العالم فى ابتكار الحكاية الشعبية، وصاغتها صياغة فنية مبتكرة ممتعة، وتحليلها تحليلاً نفسياً مناسباً، فقد كانت تقص على سامعها للتمتع بها والاستفادة من حكمها، فلم تكن تفسيراً لبعض المظاهر الكونية، أو كانت تشير إلى أمر يختص بإله ما من حيث نشأته أو علاقته بالآلهة الآخرين(٤٠).

وقد استلهم على أحمد باكثير أحداث مسرحيته "الفرعون الموعود" من نص أدبى فرعونى وجد مكتوباً باللغة الهيراطيقية على مدرج بردى وعنوانه "الشقيقان"، ويحكى قصة أخوين من مصر القديمة كان الأكبر يعيش فى منزله مع زوجته لا يمارس العمل سوى فى أيام الحرث والحصاد، وكان الشقيق الأصغر الذى نشأ فى رعاية أخيه وكأنه ابنه يقوم بكل المهام الضرورية وغير الضرورية بما فى ذلك إعداد الخبز، وقد فتنت الزوجة بالأخ الأصغر وحاولت أن تدفع به إلى خيانة أخيه معها فرفض أن يقترف الإثم وعندما تيقنت أنه لم يرتكب الجريمة التى تدعو إلى ارتكابها شكته إلى أخيه الأكبر بأنه راودها عن نفسها، فخاف الفتى أن يتسرع أخوه فى الغضب عليه وهاجر من مصر إلى السند إلى حين يكتشف الأخ براءته وخيانة الزوجة وبعد حوادث أسطورية غريبة تتأكد براءة الشقيق الأصغر ويعود ليصبح فرعوناً على مصر(٤١).

تلك هى أحداث النص الفرعونى التى نسج باكثير من أحداثه المسرحية

"الفرعون الموعود"، الوقائع لم تتغير كثيراً حتى الخوارق الأسطورية ظلت قائمة فى المسرحية مع تعديل طفيف وإضافات لا تؤثر فى الجوهر، ولكنه حملها بمعانى ودلالات إسقاطية على الواقع المصرى فترة كتابة المسرحية، التى تبدأ أحداثها فى كوخ فى سفح من سفوح جبال لبنان، حيث ينام الشاب "باتا" على باب الكوخ متوسداً مخدة من الحشيش اليابس، فيقبل شيخ غريب الهيئة خلفه فتاة رائعة الجمال، ويتعرف الشيخ على باتا، ويحكى له عن قصة هروبه من مصر بعد أن راودته زوجة أخيه عن نفسها.

"باتا: إنها راودتنى عن نفسى. آه يا ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الفظيع.

الشيخ: وهل طاوعتها على الخيانة؟

باتا: كلا، معاذ الرب أن أخون شقيقى. ولكنى هربتّ من منزل أخى الذى أحبه، دون علمه، بل تركت مصر التى أحبها إلى حيث أعيش هنا وحيداً، وقد آليت على نفسى أن لا أدع امرأة تخوننى"[٤٢].

ويعرض عليه الشيخ الزواج من الفتاة الجميلة "سيرونا" ويقنعه بصلاحها وتقواها حتى أن الناس يلقبونها بالملاك الطاهر، ويقبل باتا الزواج من سيرونا التى تشجعه على العودة إلى مصر بعد أن رأت فى نفسه هوى إليها ويعودان، فيستقبله أخاه "إنبو" أحسن استقبال، وتعاود زوجة أخيه "نفرورا" إغوائه من جديد ولكنه يقاومها وينهرها، فما كان منها إلا أن تلصق التهمة به وتفضحه أمام أخيه الذى ثار ثورة عارمة وأمر أخيه بالرحيل والعودة من حيث جاء، ومن ناحية أخرى تصطحب "نفرورا" سيرونا إلى قصر فرعون مصر (الفرعون الداعر) ليضمها إلى حريمه، بعد أن أقنعتها بخيانة زوجها "باتا"، ويتخفى باتا ويذهب إلى قصر فرعون ويرى سيرونا تداعبه ويداعبها، فينجح فى الوصول إليها ويحاول إقناعها بالعودة معه إلى لبنان.

لكنها ترفض، فيثور عليها، فلم تمالك نفسها وتطعنه بخنجر فى صدره ويسيل دمه على الأرض، ومن دمه تنبت شجرة، يخيل لسيرونا أن عيون باتا قد

تمثلت فى إحدى زهورها وتتوعدها بالانتقام، فتطلب سيرونا من فرعون قطع هذه الشجرة كشرط لبقائها فى القصر، وهنا تنطلق فراشه من هذه الزهرة لتدخل فمها، فتسقط سيرونا مغشياً عليها، لتفيق فتجد نفسها وقد حملت حملاً مكتمل النمو مما تثير عجب الجميع ويأتون بالقابلة فتولدها، ويأتى عامور الكاهن الذى عزله فرعون لأنه كان ينكر عليه تماديه فى الفسوق والظلم، ويخبره بأن هذا الجنين ما هو إلا الفرعون الموعود الذى جاء ليريح شعب مصر من ظلم الفرعون وفسوقه.

عامور: لا تنس يا مولاى أنك أقصيتنى وحرمت علىّ أن أزورك لأنى نصحتك بالكف عن ظلمك وفجورك فما جئت اليوم لزيارتك.

فرعون: فيم جئت إذن؟

عامور: جئت لأستقبل الفرعون الموعود إنه اليوم يولد فى قصرك.

فرعون: أتخوفنى بأساطيرك يا كاهن السوء؟ وحق آبائى لأقتلنك شر قتلة.

عامور: ما أبالى أن تقتلنى وقد كبرت وسئمت تكاليف الحياة وحسبى أنى لم أمت حتى شهدت اليوم الذى يتم فيه خلاص الشعب من ظلمك وآثامك.

القابلة: مولاى أبشرك بغلام جميل.

عامور: هو الفرعون الموعود.. حمدا لك يارب[٤٣]

ويأمر فرعون بقتل الوليد، ولكنه يختفى، ويظهر باتا فجأة وبيده خنجر، ويتقهقر أمامه رجال فرعون ذاهلين:

فرعون: من أنت ويلك

باتا: أنا الغلام الذى تبحث عنه لتقتله.. أنا باتا الذى اغتصبت منه زوجته ! أنا قاتلك لا قاتل لك غيرى

فرعون: (يتقهقر عنه)

باتا: سأريح الشعب من ظلمك وفجورك

سأريحك من نفسك الفاجرة!

فرعون: ويلكم اقتلوه ! اطعنوه من خلفه

عامور: الفرعون الموعود لا يقتل! (٤٤)

ويتقدم باتا نحو فرعون شارعا خنجره ويطعنه فيصيح فرعون صيحة منكرة ويخر صريعاً، وهنا ينزع عامور التاج من رأس فرعون ويضعه على رأس باتا.

"**عامور:** ألبس تاج النيل يا باتا وكن فرعوناً صالحاً وليبارك الرب عليك ... (يركع له) يعيش ملك مصر"(٤٥).

لقد هدفت المسرحية من خلال وصف الفساد القائم فى قصر فرعون مصر القديم إلى تعرية فساد قصر "فاروق" فرعون مصر الحديث، وتمكن الكاتب من أن يدمغ القصر وصاحبه بالفسق، ومن أن يحلم لمصر بميلاد حاكم صالح يعدل بين الرعايا، ويتحول قصره إلى مقر سياسة البلاد لا أن يستمر ماخوراً لجمع الوصيفات، أو اغتصاب الجميلات من النساء. وقد كشفت المسرحية عن إسقاط سياسى واضح الدلالة، فقد قدم باكثير النص الفرعونى بغير قصد الدراسة أو التحليل، وإنما لاسترجاع مناخه الفكرى، والخروج بمنظور جديد يساعد على تفجير التناقض فى ذهن المتلقى لفتح آفاق جديدة، واتخاذ موقف مغاير من أحداث الأمس.

المراجـــع:

(١) محمد أبو بكر حميد: على أحمد باكثير، مراحل حياته وتطوره الفكرى والفنى. http:www.adabasham.net.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) انظر: على أحمد باكثير: فن كتابة المسرحية من خلال تجاربى الشخصية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٨.

(٦) عبد العزيز المقالح: البدايات الأولى للمسرح المعاصر فى اليمن، (مجلة عالم الفكر)، وزارة الإعلام، المجلد السابع عشر، العدد الرابع، ١٩٨٧، ص ٥١.

(٧) محمد أبو بكر حميد: مرجع سبق ذكره.

(٨) على أحمد باكثير: مقدمة مسرحية "إخناتون ونفرتيتى"، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥.

(٩) عبد الله طنطاوى: حركة الشعر الجديد. http:www.adabasham.net.

(١٠) انظر: على أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.

(١١) على أحمد باكثير: مقدمة مسرحية "إخناتون ونفرتيتى، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

(١٢) عبد العزيز المقالح: البدايات الأولى للمسرح المعاصر فى اليمن (مجلة عالم الفكر)، وزارة الإعلام، المجلد السابع عشر، العدد الرابع، ١٩٨٧، ص ٤٩.

(١٣) على أحمد باكثير: إخناتون ونفرتيتى، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٢.

* أمنوفيس: هو فرعون مصر (أمنحتب الثالث) والد إخناتون (أمنحتب الرابع)

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(١٦) على أحمد باكثير: تذييل مسرحية إخناتون ونفرتيتى، ص ١٥٩- ١٦٠.

(١٧) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ٧٩- ٨٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(١٩) نبيلة محمد عبد الحليم: مصر القديمة تاريخها وحضارتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٨٦.

(٢٠) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، مطبعة هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٧.

(٢١) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ٩٢- ٩٣.

(٢٢) على أحمد باكثير: تذييل مسرحية "إخناتون ونفرتيتى"، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦- ١٥٧.

(٢٣) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٢٤) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٢٦) رمضان السيد: مرجع سبق ذكره، ص ١١٠.

(٢٧) نبيلة محمد عبد الحليم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩٥.

(٢٨) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢٩) حسن محمد محي الدين السعدى: فى تاريخ مصر فى العصر الفرعونى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٩٦- ٩٧.

(٣٠) انظر: رمضان السيد: مرجع سبق ذكره، ص ١١٨- ١١٩.

(٣١) على أحمد باكثير: مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠- ١٠١.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٤٥- ١٤٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٤٧- ١٤٨.
(٣٥) عادل العليمى: الدراما الشعبية المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٢٦- ١٢٧.
(٣٦) انظر: أحمد شمس الدين الحجاجى: الأسطورة فى المسرح المصرى المعاصر، الجزء الثانى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٥٧- ٣٥٨.
(٣٧) على أحمد باكثير: أوزوريس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٣.
(٣٨) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ١١٠.
(٤٠) جاستون ماسبيرو: حكايات شعبية فرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص ٧.
(٤١) انظر: عبد العزيز المقالح، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢- ٥٣.
(٤٢) على أحمد باكثير: الفرعون الموعود، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٠٠- ١٠١.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥.